

الحلقة الثامنة عشرة

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الدرس الحادي عشر من دروس الحكمة للشباب. حيث عاد سليمان الحكيم وتحدث عن خطيئة الزنا ونتائجها المدمرة على حياة الإنسان، لاسيما الشباب. ووصفها بالنار التي يضعها الإنسان في حضنه، ودعا الشاب لكي لا يقع في براثن هذه الخطيئة.

تحدث سليمان الحكيم في الدرس الثاني عشر عن الشاب الذي يُخدع بالمرأة الزانية، فوصفه كالثور الذي يذهب إلى الذبح، أو كالغبي إلى قيد القصاص، أو كالطير الذي يُسرع إلى الفخ. وحذّر الشاب من طرق المرأة الزانية، لأنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوىاء. (أمثال ٧: ٢٢-٢٦) وختم هذا الدرس بالقول: "طرق الهاوية بيتها هابطة إلى خدور الموت." (أمثال ٧: ٢٧) أي أن بيت هذه المرأة الزانية مقيم في الهاوية، حيث العذاب الأليم. والنهاية هي الموت، أي الانفصال النهائي والأبدي عن الله. فهل هذا ما تريده لحياتك يا صديقي الشاب؟

ننتقل الآن إلى الدرس الثالث عشر والأخير من دروس الحكمة للشباب. وموضوعه الحكمة بين الناس، والحكمة عند الله. وسنقتصر في حديثنا اليوم عن الحكمة بين الناس. هل تصوّرت مرة مستمعي الحكمة مجسّدة بشخص؟ هذا ما كتبه لنا سليمان الحكيم في مقدمة هذا الدرس فقال:

"أعمل الحكمة لا تنادي والفهم ألا يعطي صوته. عند رؤوس الشواهد عند الطريق بين المسالك تقف. بجانب الأبواب عند ثغر المدينة عند مدخل الأبواب تصرّح. لكم أيها الناس أنادي وصوتي إلى بني آدم." (أمثال ٨: ١-٤)

هل تعلم صديقي من هو هذا الشخص الذي تجسّدت فيه الحكمة الكاملة؟ إنه المخلص يسوع المسيح، الكلمة الأزلي الذي تجسّد وصار إنساناً، وتجلّت فيه حكمة الله. وهو الذي كتب عنه الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: أنه حكمة الله.

(١كورنثوس ١:٢٤) نعم، إنه المخلص المسيح الذي أعلن حكمة الله، ودعا الإنسان لكي يأتي إليه وينال الحكمة الحقّة. إذ قال: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملّي خفيف." (بشارة متى ١١:٢٨-٣٠).

فهل لببت صديقي نداء الحكمة نداء المخلص المسيح؟ وهل أتيت إليه لكي تتال الحكمة الحقّة؟ إذ عندما تأخذ هذه الحكمة من خلال المخلص المسيح، تصبح حكيمًا. أما إذا تجاهلت نداء الحكمة هذا، فأنت تبقى في جهلك وظلامك، وأسيراً للخطيئة وكل ما هو فاسد وشرير.

ثم انتقل سليمان الحكيم للحديث عن ماهية الحكمة. فكتب قائلاً: "أيها الحمقى تعلّموا ذكاء ويا جهال تعلّموا فهماً. اسمعوا فإني أتكلّم بأمر شريفة وافتتاح شفّتي استقامة. لأن حنكي يلهج بالصدق ومكرهة شفّتي الكذب. كل كلمات فمي بالحق. ليس فيها عوج ولا التواء. كلها واضحة لدى الفهيم ومستقيمة لدى الذين يجدون المعرفة." (أمثال ٨:٥-٩)

إن هذه الحكمة التي ينادي بها المخلص المسيح، هي الحكمة الحقّة الكاملة، التي تقدم لنا طريق الصدق والصواب. فليس في هذه الحكمة أي نقص أو التواء واعوجاج. وهي الطريق المستقيمة. الطريق التي يستطيع أي إنسان أن يسلك فيها، لأنها واضحة، وفيها يجد المعرفة الحقّة.

إن هذه الحكمة يا صديقي هي خلاص الله المقدم لك من خلال المخلص المسيح. ولهذا كانت مكافأتها كبيرة جداً. كتب سليمان الحكيم: "خذوا تاديبي لا الفضة. والمعرفة أكثر من الذهب المختار. لأن الحكمة خير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها." (أمثال ٨:١٠ و١١) أليس هذا ما أشار إليه المخلص المسيح عن الذي يجد الحكمة أو ملكوت الله؟ إذ شَبَّهه بإنسان وجد كنزاً مخفي في حقل، أو لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن. هكذا كل من نال خلاص الله يحصل على أثمن شيء في الوجود، الذي هو أعظم بكثير من الذهب المختار واللآلئ، لأن كل الجواهر لا تساويها.

وعندما يحصل الإنسان على هذه الحكمة يستطيع أن يسلك في الطريق الصحيح وأن يتدبر أموره، وأن يعرف مخافة الرب، ويتعد عن الشر. لهذا نقرأ: "أنا الحكمة أسكن الذكاء وأجد معرفة التدابير. مخافة الرب بغض الشر. الكبرياء والتعظم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضت." (أمثال ٨: ١٢ و١٣)

إن أهمية الحصول على الحكمة لا يقتصر على الناس العاديين، بل يشمل أيضاً الحكام والقضاة. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "لي المشورة والرأي. أنا الفهم. لي القدرة. بي تملك الملوك وتقضي العظماء عدلاً. بي تترأس الرؤساء والشرفاء. كل قضاة الأرض." (أمثال ٨: ١٤-١٦) من المهم جداً أن يتحلّى الرؤساء والقضاة بالحكمة الحقّة، لكي يستطيعوا أن يسلكوا في جادة الصواب، وأن يحكموا بعدل. لهذا رأينا كيف طلب سليمان الحكمة من الله لكي يستطيع أن يحكم على الشعب. هذه الحكمة التي يحتاج إليها كل الرؤساء والملوك والقضاة، إذا أرادوا النجاح.

أمام هذه الحقائق الهامة عن الحكمة، ما هو موقفك يا صديقي منها؟ هل تطلبها وتسعى إليها؟ كتب سليمان الحكيم على لسان الحكمة قائلاً: "أنا أحب الذين يحبونني والذين يبكرّون إليّ يجدونني." (أمثال ٨: ١٧) إن الحكمة المجدّدة في شخص المخلص المسيح لا بد أن تكافئ الذين يحبونها ويسعون إليها. وها هو المخلص المسيح يعلن قائلاً: "اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ. ومن يطلب يجد. ومن يقرع يفتح له." (بشارة متى ٧: ٧ و٨)

ولهذا تابع سليمان الحكيم قائلاً عن بركات الحكمة: "عندي الغنى والكرامة. قنية فاخرة وحظ. ثمري خير من الذهب ومن الأبريز وغلتي خير من الفضة المختارة. في طريق العدل أتمشى في وسط سبل الحق فأورث محبّي رزقاً وأملاً خزائهم." (أمثال ٨: ١٨-٢١) من المهم جداً أن تحصل يا صديقي على هذه الحكمة، أي على خلاص الله المقدم لك في شخص المخلص المسيح. لأنك ستجد عندها الغنى الحقيقي والكرامة الحقّة، وتحظى على النصيب الصالح، والحظ الأكيد. فخلاص الله كما ذكرنا هو أثمن شيء في الوجود.

إن خلاص الله يمنحك الغفران الكامل عن ذنوبك، وتغدو من أولاد الله، إذ تصبح خليفة جديدة، وتتأكد من نوالك الحياة الأبدية. فهل تود الحصول على كل هذه البركات العظمى؟